الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

مجلة الموسم (العدد 13) – 1992 – 1413

ارشيو نشريات
جامعة تخصصي دارالحد
٢١٤٣٨

الرافد

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

Shiabooks.net

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة

ترسل جميع المراسلات والطلبات بإسم صاحب المجلة الى :

المركز الوثائقي لتراث اهل البيت عليهم السلام

اكاديمية الكوفة

هولندا

AL KUFA HOUSE POST BUS 1113
3260 AC OUD - BEIJRLAND
HOLLAND FAX: 01860 - 20712

الاشتراك السنوي للأفراد ٥٠ $ وللمؤسسات ١٠٠ $.

الحسين وكارثة كربلاء

● ابو الحسن علي الحسني الندوي (*)
(الهند)

ولد الحسين بن علي لخمس ليال خلون من شعبان سنة أربع ، وحنكه النبي ﷺ وتفل فيه ودعا له وسماه حسيناً ، وكان وجه الحسن يشبه وجه رسول الله ﷺ ، وكان جسد الحسين يشبه جسد رسول الله ﷺ[1] أدرك الحسين من حياة النبي ﷺ ست سنين ونحو ستة أشهر ، لأن ولادة الحسين كانت في شعبان سنة أربع ، وكانت وفاة النبي ﷺ يوم الاثنين ١٢/ من ربيع الأول سنة ١١/ للهجرة .

عن أبي أيوب الأنصاري قال : دخلت على رسول الله ﷺ والحسن والحسين يلعبان على صدره ، فقلت : يا رسول الله أتحبهما ؟ قال : «كيف لا أحبهما وهما ريحانتاى من الدنيا»[2] ، وعن الحارث عن على مرفوعاً : «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[3] وفي مراسيل يزيد بن أبي زياد : أن النبي ﷺ سمع حسيناً يبكي ، فقال لأمه : «ألم تعلمي أن بكاءه يؤذيني ؟»[4] .

وقد كان في الجيش الذي غزا القسطنطينية (سنة إحدى وخمسين[5] . وكان كثير الصلاة والصيام والحج ، حج رضى الله عنه عشرين حجة ماشياً[6] .

كان الحسين بن علي متواضعاً ، مر على قوم من مساكين وكان راكباً فسلم عليهم ، وهم قد وضعوا كسراً بالأرض وهم يأكلون ، فقالوا : هلم يا ابن رسول الله ، فنزل عن دابته ، فقال : إن الله لا يحب المتكبرين ، ثم جلس وأكل معهم ، فلما فرغوا قال : إنكم دعوتموني فأجبتكم ، وأني أدعوكم الى منزلي ، فأجابوه ، فلما دخلوا منزله وجلسوا قال : يا رباب هات ما كنت تدخرين[7] .

قال ابن عيينة : عن عبد الله بن زيد قال : رأيت الحسين بن علي أسود الرأس واللحية إلا شعرات في مقدم لحيته ، وعن عمر بن عطاء قال :

رأيت الحسين يصبغ بالوسمة ، كان رأسه ولحيته شديدي السواد[8] .

ولاية يزيد بن معاوية :

قد كان معاوية عهد للحسن بن علي بالأمر من بعده ، وقد أشار عليه بعض عماله لا ستخلاف يزيد ، فتردد ، فلما مات الحسن قوى أمر يزيد عند معاوية ، ورآه لذلك أهلا . وذلك من شدة محبة الوالد لولده ، وقال لعبد الله بن عمر في ما خاطبه به : إني خفت أن أذر الرعية بعدي كالغنم المطيرة ليس لها راع[9] وكان يزيد يوم بويع ابن أربع وثلاثين سنة[10] .

دعا معاوية الناس الى البيعة ليزيد سنة تسع وأربعين ٤٩ هـ وقد كره الناس ذلك

(*) من علماء الهند المشهورين وهو اليوم في العقد الثامن من عمره يرأس (ندوة العلماء) المؤسسة العلمية الدينية المعروفة في الهند ، له مؤلفات كثيرة مطبوعة منها :

كتاب (المرتضى) طبعة ثانية ـ لكرنكنو (الهند) ١٤١٠ هـ ـ ١٩٨٩ م وهذا الموضوع فصل من كتابه هذا (ص ٢٥٧ ـ ٢٧٥) .

واستنكروه لما يعلمون من سيرة يزيد وإقباله الى اللعب والصيد ، وكلم بعض الناس يزيد لأن لا يطلب ذلك ، فان تركه خير له من السعي فيه ، فانزجر يزيد عما يريد من ذلك ، واجتمع بأبيه واتفقا على ترك ذلك[١١] ، ولما كانت سنة ست وخمسين شرع معاوية في نظم ذلك والدعاء اليه ، وعقد بيعة لولده يزيد ، وكتب الى الافاق بذلك ، فبايع له الناس في سائر الاقاليم الا عبد الرحمن بن ابي بكر ، وعبد الله بن عمر ، والحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير ، وابن عباس ، وركب معاوية الى مكة معتمراً ، فلما اجتاز بالمدينة ـ مرجعه من مكة ـ خطب معاوية ، وهؤلاء حضور تحت منبره ، وبايع الناس ليزيد وهم قعود ، لم يوافقوا ولم يظهروا خلافاً لما تهددهم وتوعدهم، فاتسقت البيعة في سائر البلاد ، ووفدت الوفود من سائر الاقاليم الى يزيد[١٢] .

سيرة يزيد وأخلاقه :

: قال الطبراني : كان يزيد في حداثته صاحب شراب يأخذ مأخذ الاحداث[١٣] .

ويقول ابن كثير :

كان يزيد فيه خصال محمودة من الكرم والحلم ، والفصاحة والشعر ، والشجاعة وحسن الرأي في الملك ، وكان ذا جمال ، حسن المباشرة ، وكان فيه إقبال على الشهوات ، وترك بعض الصلوات في بعض الأوقات ، واماتتوا في غالب الأوقات[١٤] وأكثر ما نقم عليه في عمله شرب الخمر واتيان بعض الفواحش وبعض الاقدام[١٥] ولم يتهموه بزندقة بل قد كان ناصباً[١٦] وقد روي ان يزيد كان قد اشتهر بالمعازف وشرب الخمر والغناء والصيد ، وإتيان الغلمان والقيان ، والكلاب والنطاح بين الكباش والدباب والقرود[١٧] .

وقد ولد سنة خمس أو ست أو سبع وعشرين ، وبويع له بالخلافة في حياة أبيه أن يكون ولي العهد من بعده ، ثم أكد ذلك بعد موت أبيه في النصف من رجب سنة ستين[١٨] .

قد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

(قد علمت ورب الكعبة متى تهلك العرب ، إذا ساسهم من لم يدرك الجاهلية ، ولم يكن له قدم في الاسلام)[١٩] .

***

وقد كانت ولاية يزيد ـ وهو كما ذكرنا من سيرته وأخلاقه حدثاً لم يكن ليحتمل في العهد الذي ولي عهد الخلافة الراشدة ، وكان عدد كبير من أجلة الصحابة والتابعين لهم باحسان لا يزال على قيد الحياة ، وفيهم من كان أولى بالخلافة والوصاية على المسلمين وقيادتهم ، وتحقيق الغايات التي جاء لها الاسلام ، ونزل بها القرآن ، وشرعت لها الخلافة بدرجات كثيرة ، لذلك كان طبيعياً أن يحسب لذلك حساب لم يكن ليحسب إذا حدث هذا الحدث في زمن متأخر ، كما كان فعلا .

كارثة كربلاء

لو كانت مندوحة من ذكر هذه الكارثة التي ينحني لها رأس كل مسلم حياءاً ويندى جبينه ، لطوينا عنه كشحاً وضربنا عنه صفحاً ، ولكن التاريخ الذي يساير الاحداث على اختلاف انواعها ووقعها في النفوس ، مرغم على ذكر هذه الكارثة ، تسجيلاً للواقع واتماما للحديث ، ومعذرة الى القلب والضمير ، ومعذرة الى القراء النيارى على الاسلام ، العارفين لفضل آل بيت الرسول وعترته الكرام .

وامتنع سيدنا الحسين عن بيعة يزيد وبقي متمسكاً بذلك ، ومكث في مدينة جده عليه الصلاة والسلام ، وحسب لا متناعه عن البيعة رجال الحكومة ويزيد وعماله حساباً لم يحسبوه لامتناع عبد الله بن عمر ، وعبد الرحمن بن ابي بكر ، وعبد الله بن الزبير وغيرهم ، لمكانته من رسول الله ﷺ ، ولما اقترن به من تاريخ والده العظيم ، ومواقفه من حكومة معاوية ، ولكنه لم يلن ولم يستكن ، ولم

يحد عن موقفه الذي آثره عن اقتناع وبصيرة.

دعوة اهل العراق للحسين ، وبعثة لمسلم بن عقيل اليهم:

ولما اشتد الطلب من يزيد وعماله للبيعة ، لجأ الحسين الى مكة ، وقد كثر ورود الكتب اليه من بلاد العراق يدعونه اليهم، وبعث اهل العراق نفراً معهم نحو من مائة وخمسين كتاباً الى الحسين ، ويقولون ان معك مائة الف، وبعثوا كتاباً فيه الاستعجال في السير اليهم، وجعل اهل العراق يستحثونه ويستقدمونه عليهم ليبايعوه عوضاً عن يزيد بن معاوية، عند ذلك بعث الحسين ابن عمه مسلم بن عقيل بن ابي طالب الى العراق ليكشف له حقيقة هذا الامر ، وكتب معه كتاباً الى اهل العراق بذلك .

ودخل مسلم الكوفة فتسامع اهل الكوفة بقدومه ، فجاؤوا اليه فبايعوه على امرة الحسين ، وحلفوا له لينصرنه بانفسهم وأموالهم ، فاجتمع على بيعته من اهلها اثنا عشر الفاً ، ثم تكاثروا حتى بلغوا ثمانية عشر الفاً ، فكتب مسلم الى الحسين ليقدم عليها ، فقد تمهدت له البيعة والامور ، فتجهز الحسين من مكة قاصدا الى الكوفة ، وعزل يزيد أمير الكوفة النعمان بن بشير لضعف موقفه من الحسين، وضمها الى عبيد الله بن زياد بن سمية مع البصرة[٢].

خذلان اهل الكوفة لمسلم :

وركب مسلم بن عقيل ونادى بشعاره (يا منصور امت) فاجتمع اليه اربعة الاف من الكوفة ، وبلغ عبيد الله بن زياد فدخل القصر ومن معه واغلقوا عليهم الباب ، فلما انتهى مسلم الى باب القصر وقف بجيشه هناك ، فأشرف امراء القبائل الذين عند عبيد الله في القصر ، فأشاروا الى قومهم الذين مع مسلم بالانصراف، وتهددوهم وتوعدوهم ، وأخرج عبيد الله بعض الامراء وأمرهم أن يركبوا في الكوفة يخذلون الناس عن مسلم بن عقيل ، ففعلوا ذلك ، وجعلت المرأة تجيء الى ابنها واخيها، وتقول له ارجع الى البيت ، ويقول الرجل لابنه وأخيه كأنك غداً بجنود الشام قد اقبلت ، وماذا تصنع معهم ؟ .

فتخاذل الناس وقصروا وتصرموا ، ثم تقالوا حتى بقي في ثلاث مائة، ثم تقالوا حتى بقي معه ثلاثون رجلا ، فصلى بهم المغرب ، وقصد ابواب كندة ، وخرج منها في عشرة، ثم انصرفوا عنه فبقي وحده ليس معه من يدله على الطريق ولا من يؤانسه بنفسه ، ولا من يؤويه الى منزله ، فذهب على وجهه، واختلط الظلام وهو وحده يتردد في الطريق لا يدري اين يذهب[٢١] .

وحكاية خذلان أهل الكوفة لمسلم طويلة ومشجية، وفيها دلالات على طبيعة الخضوع للقوة والمادة والجاه والمنصب، مهما عارض ذلك المبادىء والقيم والمثل ، وكانت النهاية أن مسلماً أوى الى دار واحيط بالدار التي هو فيها ، فدخلوا عليه ، فقام اليهم بالسيف ، فأخرجهم من الدار ثلاث مرات، وجعلوا يرمونه بالحجارة ، ويلهبون النار في أطناب القصب ، فضاق بهم ذرعاً ، فخرج اليهم بسيفه فقاتلهم، فأعطاه عبد الرحمن ـ الذي هو في داره ـ الأمان فأمكنه من يده ، وجاؤوا ببغلة فأركبوه عليها ، وسلبوا عنه سيفه ، فلم يبق يملك من نفسه شيئاً ، فبكى عند ذلك وعرف أنه مقتول .

رسالة مسلم الى الحسين ، ونصح الناس له :

وكان الحسين قد خرج ذلك اليوم أو أمس من مكة ، فالتفت مسلم الى محمد بن الاشعث ، فقال : ان استطعت أن تبعث الى الحسين على لساني ، تأمره بالرجوع فافعل . فبعث محمد بن الاشعث الى الحسين يأمره بالرجوع ، فلم يصدق الرسول في ذلك ، وقال : كل ما حم الاله واقع .

وأدخل مسلم على ابن زياد ، وجرى بينه وبين ابن زياد كلام عنيف . ثم أمر ابن زياد بمسلم بن عقيل فأصعد الى اعلى القصر ، وهو يكبر ويهلل ، ويُسبّح ويستغفر ويصلي على ملائكة الله ، وقام رجل يقال له بكير بن عمران فضرب عنقه ، ثم القى رأسه الى اسفل القصر

فأتبع رأسه لجسده[٢٢] .

وكان مسلم قد طلب من محمد بن الاشعث أن يرسل الى الحسين من يقول له : ارجع بأهلك ، ولا يغرنك أهل الكوفة ، فانهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل ، إن أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني ، وليس لكاذب رأى ، ولقى الرسول الحسين بزبالة لأربع ليال من الكوفة فأخبره الخبر ، وأبلغه الرسالة ، فقال الحسين : (كل ما حم نازل ، عند الله نحتسب أنفسنا وفساد أئمتنا)[٢٣] .

* * *

ولما استشعر الناس خروج الحسين الى الكوفة أشفقوا عليه من ذلك وحذروه منه ، وأشار عليه ذوو الرأي منهم والمحبة له بعدم الخروج الى العراق ، وقال له عبد الله بن عباس : (إن أهل العراق قوم غدر فلا تغترن بهم ، أقم في هذا البلد حتى ينفى أهل العراق عدوهم ، ثم أقدم عليهم) فقال الحسين : (يا ابن عم ، والله إني لأعلم أنك ناصح شفيق ، ولكني قد أزمعت المسير) فقال : (فان كنت ولابد سائراً فلا تسر بأولادك ونسائك ، فو الله إني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ، ونساؤه وولده ينظرون اليه)[٢٤] .

ونهاه ابن عمر كذلك فأبى أن يرجع ، فاعتنقه ابن عمر وبكى ، وقال : (استودعك الله من قتيل) ، ونهاه عبد الله بن الزبير ، فقال الحسين : (اتتني بيعة أربعين ألفا يحلفون بالطلاق والعتاق أنهم معى)[٢٥] .

ونهاه أبو سعيد الخدري ، وجابر بن عبد الله ، وسعيد بن المسيب فلم ينته ، ولقيه الفرزدق في الطريق فسأله عن أمر الناس ، فقال : (يا ابن رسول الله ، القلوب معك ، والسيوف عليك ، والنصر من السماء)[٢٦] .

الحسين بن علي الى الكوفة :

وخرج الحسين متوجها الى العراق في اهل بيته وستين شخصاً من أهل الكوفة صحبته ، واقبل يسير نحو الكوفة ولا يعلم بشيء مما وقع من الاخبار ، وعلم في طريقه قتل مسلم وهانىء بن عروة ، فجعل يقول : إنا اليه وانا اليه راجعون ، مراراً ، فقالوا له : الله الله في نفسك ، فقال : لا خير في العيش بعدهما ، ولما وصل الى الحاجر ، قال خذلتنا شيعتنا ، فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف من غير حرج عليه وليس عليه منا ذمام ، فتفرق الناس عنه أيادى سبأ ـ وهم الأعراب الذين اتبعوه في الطريق ـ يميناً وشمالاً ، حتى بقى في أصحابه الذين جاؤوا معه من مكة[٢٨] .

وأحضر الحسين خرزين مملوئين كتباً فنثرها وقرأ منها طائفة ، فقال الحر ، لسنا من هؤلاء الذين كتبوا اليك في شيء ، وتنحى الحر عنه وجعل يسير بأصحابه ناحية عنه ، وخلص اليه أناس من أهل الكوفة ، فقال لهم الحسين أخبروني عن الناس وراءكم ، فقال مجمع بن عبد الله العامرى (أما اشراف الناس فهم إلب عليك ، لأنهم قد عظمت رشوتهم وملئت غرائرهم فهم إلب واحد عليك ، وأما سائر الناس فأفئدتهم تهوى اليك ، وسيوفهم غداً مشهورة عليك)[٢٩] .

وبعث عبيد الله بن زياد عمر بن سعد لقتاله ، فقال له الحسين : (يا عمر ، اختر منى احدى ثلاث خصال : إما أن تتركني أرجع كما جئت ، فان أبيت هذه فسيرني الى يزيد ، فأضع يدى في يده ، فيحكم في ما رأى ، فان ابيت هذه فسيرني الى الترك ، أقاتلهم حتى أموت) فأرسل الى ابن زياد بذلك ، فهم أن يسيره الى يزيد ، فقال شمر بن ذى الجوشن : لا ، إلا أن ينزل على حكمك ، فأرسل الى الحسين بذلك ، فقال الحسين : والله لا أفعل .

وأبطأ عمر عن قتاله ، فأرسل ابن زياد شمر بن ذى الجوشن وقال له : إن تقدم عمر فقاتل ، وإلا فاقتله وكن مكانه ، فقد وليتك الأمر ، وكان مع عمر قريب من ثلاثين رجلاً من أعيان أهل الكوفة ، فقالوا له : (يعرض عليكم ابن بنت رسول الله ﷺ ثلاث خصال ، فلا تقبلون منها شيئاً) ، وتحولوا مع الحسين يقاتلون معه[٣٠] .

في كربلاء :

فلما نزل بكربلاء قال : ما اسم هذه الارض ؟ قالوا كربلاء : قال : كرب وبلاء ، وأمر ابن زياد عمر بن سعد أن يحول بينهم وبين الماء ، والحسين وأصحابه متقلدون سيوفهم ، وأمر الحسين أصحابه أن يتروا من الماء ويسقوا خيولهم ، ويسقوا خيول أعدائهم أيضاً ، وصلى الحسين صلاة الظهر .

وجعل عمر بن سعد شمر بن ذى الجوشن على الرجالة ونهضوا الى الحسين وأصحابه عشية يوم الخميس التاسع من المحرم ، وركبوا وزحفوا اليهم ، واوصى الحسين بهذه الليلة الى أهله ، وخطب في أصحابه ، وخيرهم بالذهاب الى حيث شاؤوا ، إنما القوم إنما يريدونني ، فقال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه : لا بقاء لنا بعدك ، ولا أرانا الله فيك ما نكره ، فقال بنو عقيل : نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا ، ونقاتل معك حتى نرد موردك ، قبح الله العيش بعدك[٣١] .

وصلى الحسين الصبح يوم الجمعة (وقيل يوم السبت) وكان يوم عاشوراء ، وأصحابه اثنان وثلاثون فارساً ، وأربعون رجلاً ، وركب الحسين على فرسه ، وأخذ مصحفاً فوضعه بين يديه ، وركب ابنه على بن الحسين وكان ضعيفاً مريضاً ، وشرع يذكر للناس فضله وعظمة نسبه ، وعلو قدره وشرفه ، ويقول : راجعوا أنفسكم وحاسبوها ، هل يصلح لكم قتال مثلي ، وأنا ابن بنت نبيكم الى آخره[٣٢] والتحق به الحر بن يزيد الرياحي ، فأقبل على فرسه ، ولم يزل يقاتل حتى قتل .

وقام شمر وأقبل فحمل على أصحاب الحسين وأتى أصحابه مثنى وفرادى يقاتلون بين يديه ، وهو يدعو لهم ويقول : جزاكم الله أحسن جزاء المتقين ، وقاتلوا بين يديه حتى تفانوا ، وقتل كثير من بني علي بن أبي طالب إخوة الحسين .

ونادى شمر بن ذى الجوشن : ماذا تنتظرون بقتله ؟ فتقدم اليه زرعة بن شريك التميمي فضربه بالسيف على عاتقه ، ثم طعنه سنان بن أنس بن عمرو النخعي بالرمح ، ثم نزل فاحتز رأسه ودفعه الى خولى ، قال ابو مخنف عن جعفر بن محمد قال : وجدنا بالحسين حين قتل ثلاثاً وثلاثين طعنة ، وأربعاً وثلاثين ضربة[٣٣] .

وقتل من أصحاب الحسين اثنان وسبعون نفساً ، وروى عن محمد بن الحنفية أنه قال : قتل مع الحسين سبعة عشر رجلاً ، كلهم من أولاد فاطمة[٣٤] .

وقتل رضى الله عنه يوم الجمعة يوم عاشوراء في المحرم سنة احدى وستين ، وله اربع وخمسون سنة وستة اشهر ونصف .

في محضر يزيد :

قال هشام : لما جاء رأس الحسين دمعت عينا يزيد بن معاوية ، وقال كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين ، لعن الله ابن سمية ، أما والله لو أتى صاحبه لعفوت عنه[٣٥] .

وحدث مولى لمعاوية بن أبي سفيان ، قال : لما أوتى يزيد برأس الحسين ووضع بين يديه ، رايته يبكي ، ويقول : (لو كان بين ابن زياد وبينه رحم ما فعل هذا) [٣٦] .

وأدخل السبى على يزيد فأغلظ لهم أول الأمر ، ثم لم يلبث أن رفق بهم ، وأدخلهم على أهله ، ثم جهزهم بعد ذلك الى المدينة وردهم اليها كراماً ، ولا يروى أنه لام ابن زياد ولا عاقبه ولا عزله .

وقد روى خلاف ذلك من فرحه واستبشاره وشماتته ما لايليق بمسلم .

وقعة الحرة وموت يزيد :

وفي سنة ثلاث وستين كانت وقعة الحرة ، وهي وصمة عار في تاريخ الاسلام الأول ، فقد أذن يزيد لمسلم بن عقبة أن يبيح المدينة ثلاثة أيام ، يقول ابن كثير :

(وقد وقع في هذه ثلاثة ايام من المفاسد العظيمة في المدينة النبوية ما لا يحد ولا يوصف ، وقد اراد يزيد توطيد سلطانه

وملكه ودوام أيامه من غير منازع ، فعاقبه الله بنقيض قصده وحال بينه وبين ما يشتهيه)[٣٧] .

ولم يعش يزيد ، ولم يتمتع بالملك الا اربع سنين ، فقد توفي في الرابع عشر من ربيع الاول سنة أربع وستين[٣٨] .

وانقطعت الخلافة على موت يزيد من آل أبي سفيان ، وانتقلت الى بني مروان بن الحكم[٣٩] الى أن خلفهم بنو العباس والله مالك الملك ، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ويذل من يشاء .

آراء بعض أعلام السنة وانطباعاتهم عن شهادة الحسين وكارثة كربلاء :

ولم يزل أئمة اهل السنة وأعلامهم يستنكرون فعل يزيد وقواده ، كعبيد الله بن زياد ، وعمر بن سعد ، وشمر بن ذى الجوشن ، ويتبرؤون منهم ، ويستفظعون شهادة الحسين ومن كان معه من آل البيت غاية الإستفظاع ، وهنا بعض أمثلة ونماذج من غير استيعاب وتوسع .

قال صالح بن الامام أحمد بن حنبل ، قلت لأبي : (إن قوماً يقولون إنهم يحبون يزيد) ، فقال : (يا بني ، وهل يحب يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر ؟) فقلت : يا أبت ، فلماذا لا تلعنه ؟ فقال : (يا بني ، ومتى رأيت أباك يلعن أحداً)[٤٠] .

* * *

وقد قال شيخ الاسلام الحافظ ابن تيمية في حديث جرى بينه وبين مقدم المغول بولائي لما قدم دمشق في الفتنة الكبيرة :

(أما من قتل الحسين أو أعان على قتله ، أو رضى بذلك ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منهم صرفاً ولا عدلاً)[٤١] .

(والحسين رضى الله عنه أكرمه الله تعالى بالشهادة في هذا اليوم ، وأهان بذلك من قتله أو اعان على قتله أو رضى بقتله ، وله أسوة حسنة بمن سبقه من الشهداء ،فانّه وأخوه سيدا شباب أهل الجنة ، وكانا قد تربيا في عز الاسلام ، لم ينالا من الهجرة بالشهادة تكميلاً لكرامتهما ورفعاً لدرجاتهما ، وقتله مصيبة عظيمة ، والله سبحانه قد شرع الاسترجاع عند المصيبة بقوله تعالى : (وبشر الصابرين ، الذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله وانا اليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، واولئك هم المهتدون)[٤٢] .

* * *

ويقول الامام الشيخ أحمد عبد الاحد السرهندى (المشهور بمجدد الألف الثاني) (م ١٠٣٤ هـ) في احدى رسائله :

(إن يزيد الذي حرم السعادة والتوفيق ، من زمرة الفساق ، أما التوقف في لعنه فهو على اساس أصول أهل السنة ، أن الشخص المعين ولو كان كافراً لا يسرع الى لعنه ، إلا أن يعرف بالقطع أنه ختم له بالكفر كأبي لهب وامرته ،وليس معنى ذلك أنه ليس جديراً باللعن ، فأن الله يقول : إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة)[٤٣] .

* * *

ويقول العلامة الشيخ عبد الحق البخارى الدهلوى المحدث الكبير (م ١٠٥٢ هـ) في كتابه «تكميل الايمان» :

(وبالجملة فانّ يزيد من كبار المبغوضين عندنا ، والفظائع التي ارتكبها هذا الشقي الذي خانه التوفيق في هذه الامة ، لم يقترفها أحد في هذه الامة)[٤٤] .

* * *

ويقول الامام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولى الله الدهلوى (م ١١٧٦ هـ) في كتابه الشهير « حجة الله البالغة» في مبحث الفتن وفي شرح حديث «ثم ينشأ دعاة الضلال» :

(ودعاة الضلال يزيد بالشام ، ومختار بالعراق)[٤٥] .

ونختم هذا البحث بكلمة منصفة متزنة للعالم المصلح الكبير الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي (المتوفى ١٣٢٣ هـ) يقول في فتاواه :

«إن جواز اللعن وعدم جوازه مداره على التاريخ ، والأليق بنا والأحوط السكوت ، لأنه إذا كان اللعن جائزاً فلا حرج في عدم اللعن ، لأن اللعن ليس بفريضة ولا واجب ، ولا سنة ولا مستحب ، لا يزيد على أنه مباح ، فاذا لم يكن الذي يوجه اليه هذا اللعن محلا له فالافضل الابتعاد عن المعصية[١٦] .

* * *

جهود لاقامة الحكم الصالح وتغيير الاوضاع ، وقيمتها :

قد قامت الخلافة بعد الخلفاء الراشدين ـ مع الأسف ـ على نظام الوراثة والسلالات ، ودان العرب والمسلمون لها ، فلم يكن لأحد أن يقوم في وجه الخليفة الاموى أو العباسي ويطمع في النجاح إلا إذا كان على شرف النسب وعلو البيت ، متمتعاً بعصبية قوية واسعة حتى يقرع الحديد بالحديد ، ويقابل الريح بالاعصار ، لذلك كان كل من خرج على الدولة الأموية والعباسية ورفع راية الجهاد ، هو من أهل بيت الرسول ومن العلويين ، لان إمكانات نجاحهم كانت ألمع وأظهر ، والمسلمون اليهم أميل ، وأيدهم أهل الصلاح ومحبو الاصلاح في عصرهم ، والذين كانوا يتألمون بمشاهدة فساد الأوضاع وضياع الخلافة ، وضياع أموال المسلمين في الشهوات والنزعات الجامحة العاتية الى الترف والعادات الجاهلية .

وقد قام بعد الحسين بن علي رضى الله عنه وعن أبائه ـ حفيده زيد بن علي بن الحسين ، خرج على هشام بن عبد الملك الأموى ، وقتل وصلب سنة ١٢٢ هـ ، وقد أرسل اليه الامام أبو حنيفة بعشرة آلاف درهم ، واعتذر عن حضوره[١٧] .

* **

ثم قام من بني الحسن بن علي محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن على ذو النفس الزكية في المدينة ، وأخوه ابراهيم في الكوفة باتفاق منهما ، وكان أبو حنيفة ومالك من أنصار ذى النفس الزكية ، فقد انتصر له أبو حنيفة علانية ، وأرسل اليه ببعض المال ، ونهى قائد المنصور الحسن بن قحطبة من محاربته فاعتذر من المنصور ، وكان هذا هو السبب الحقيقي لما وقع من المنصور مع أبي حنيفة انتهى بحياته .

وقد جاء في تاريخ الكامل لابن الاثير أن أهل المدينة قد استفتوا مالك بن انس في الخروج مع محمد ، وقالوا : إن في اعناقنا بيعة لأبي جعفر ، فقال :

(إنما بايعتم مكرهين ، وليس على مكره يمين) فأسرع الناس الى محمد ، ولزم مالك بيته[١٨] وقد قتل محمد سنة ١٤٥ هـ في المدينة في شهر رمضان ، وقتل أخوه ابراهيم في ذى القعدة من ذلك العام .

* * *

إن هذه المحاولات قد أخفقت ولم تأت بالنتيجة المطلوبة ، لأن الحكومة قد كانت قوية ومنظمة ، وكانت تملك الوسائل والذخائر ، وقد رأينا في التاريخ الماضي والحاضر محاولات كثيرة تقوم على الاخلاص والايمان والبطولة والشجاعة ، ولا يقصر قادتها وأتباعها في التضحية بالأموال والأنفس ، ثم كثيراً ما تخفق أمام الحكومات المنظمة والجيوش العظيمة وقواها الهائلة ، وليس هذا ببدع في التاريخ ، ولا بمستغرب في سير هذا الكون ، ولكنها ـ على إخفاقها في ميدان السياسة والنتائج المادية ـ قد خدمت الاسلام خدمة عظيمة لأنها حفظت على تاريخ الاسلام شرفه وكرامته ، ولولا هذه الجهود وهذه المحاولات حيناً بعد حين لكان التاريخ الاسلام قصة متصلة للأنانية والنفعية ، قصة الملوك الذين يتسلطون ، وقصة ، أصحاب الأغراض والأطماع الذين يخضعون ، ولكن هؤلاء الأبطال المجاهدين وهؤلاء المؤمنين المغامرين ، قد نصبوا للأجيال القادمة منارات تضيء لهم في غياهب التاريخ من بعيد ، وتنير لهم السبيل ، وتلهم بالفروسية الاسلامية السامقة ، والثورة على الاوضاع الفاسدة ، والغضب لنظام

الاسلام المظلوم ولكرامته المهدرة .

إنه تراث مجيد يعتز به الاسلام ، وثروة غالية تتجمل بها الاجيال ، وسلسلة متصلة من المجاهدين تبعث على الثقة والايمان واليقين .

(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) .

(١) البداية والنهاية ج ٨ ص ١٤٩ ـ ١٥٠ . (٢) رواه الطبراني في المعجم . (٣) اخرجه الطبراني . (٤) اخرجه الطبراني . (٥) البداية والنهاية ج ٨ ص ١٥١ . (٦) الجوهرة ص ٢١٣ . (٧) الجوهرة ج ٢ ص ٢١٣ ـ ٢١٤ . (٨) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٣ ص ٢٨١ . (٩) البداية والنهاية ، ج ٨ ص ٨٠ . (١٠) المرجع السابق ، ج ٨ ص ١٤٦ . (١١) المرجع السابق ، ج ٨ ص ٨٠ . (١٢) المرجع السابق ، ج ٨ ص ٨٠ . (١٣) البداية والنهاية ، ج ٨ ص ٢٢٨ . (١٤) المرجع السابق ، ج ٨ ص ٢٣٠ . (١٥) المرجع السابق ، ج ٨ ص ٢٣٢ . (١٦) المرجع السابق ، ج ٨ ص ٢٣٢ . (١٧) المرجع السابق ، ج ٨ ص ٢٣٥ . (١٨) أيضاً ، ص ٢٣٦ ، لاخلاف أن معاوية توفى بدمشق في رجب سنة ستين ، وكان عمره إذ ذاك ثماني وسبعين سنة ، وقيل جاوز الثمانين ، ج ٨ ص ١٤٣ . (١٩) البداية والنهاية ، ج ٨ ص ٢٣٢ . (٢٠) البداية والنهاية ج ٨ ص ١٥٢ . (٢١) البداية والنهاية ج ٨ ص ١٥٤ ـ ١٥٥ . (٢٢) البداية والنهاية ج ٨ ص ١٥٦ ـ ١٥٧ . (٢٣) المرجع السابق ج ٨ ص ١٥٩ . (٢٤) البداية والنهاية ، ج ٨ ص ١٦٠ . (٢٥) المرجع السابق ، ج ٨ ص ١٦١ . (٢٦) المرجع السابق ، ج ٨ ص ١٦٠ ـ ١٦٣ . (٢٧) المرجع السابق ، ج ٨ ص ١٦٧ . (٢٨) البداية والنهاية ، ١٦٨ ـ ١٦٩ . (٢٩) المرجع السابق ، ج ٨ ص ١٧٣ باختصار . (٣٠) المرجع السابق ، ج ٨ ص ١٧٠ . (٣١) البداية والنهاية ، ج ٨ ص ١٧٦ ـ ١٧٧ . (٣٢) المرجع السابق ، ج ٨ ص ١٧٨ ـ ١٧٩ . (٣٣) البداية والنهاية ، ص ١٨٨ ، ومن مراضع العبرة أن كل من كان له ضلع في قتل الحسين وقتاله ، قتل بعد ذلك ، فقد تتبع المختار قتلة الحسين وغيرهم ممن كانت له يد جارحة في تلك الجريمة ، فقتلهم ، والله عزيز ذو انتقام . (٣٤) المرجع السابق ، ص ١٩٠ . والقصة مختصرة من صفحة ١٧٠ الى صفحة ١٨٨ . (٣٥) البداية والنهاية ، ص ١٩١ . (٣٦) المرجع السابق ، ج ٨ ص ١٧١ . (٣٧) المرجع السابق ، ج ٨ ص ٢٢٢ . (٣٨) المرجع السابق ، ج ٨ ص ٢٢٦ . (٣٩) كان معاوية بن يزيد ولي عهده بعده ، بويع له بعد موت أبيه في الرابع عشر من ربيع الأول سنة أربع وستين ، وكان رجلا صالحاً ناسكاً ، ولم تطل مدة خلافته ، وكان في مدة خلافته ، وكان في مدة ولايته مريضاً لم يخرج الى الناس ومات عن إحدى وعشرين (وقيل اكثر من ذلك واقل) واجتمع بنو امية الى مروان بن الحكم وبايعوه لثلاث خلون من ذى القعدة سنة أربع وستين ، ومات مروان في الثالث من شهر رمضان سنة خمس وستين ، وخلفه ابنه عبد الملك بن مروان ، واستمرت الخلافة في آل مروان حتى انتزعها منهم بنو العباس . (٤٠) فتاوى ابن تيمية ، ج ٤ ص ٤٨٣ ، الطبعة الاولى ١٣٨١ هـ ، الرياض . (٤١) فتاوى ابن تيمية ، ج ٤ ص ٤٨٧ ، الطبعة الاولى ١٣٨١ هـ الرياض . (٤٢) المرجع السابق ، ج ٤ ص ٥١١ . (٤٣) الجزء الاول من رسائل الامام الرباني الرسالة رقم ٢٥١ (الجزء الرابع من مكتوبات الامام الرباني ، ص ٦٠ طبع المطبع المجددى ، امرتسر ١٣٢٩ هـ) . (٤٤) تكميل الايمان ، ص ٧١ ، طبع مطبعة فخر المطابع لكهنؤ ١٩٠٥ م . (٤٥) حجة الله البالغة ، ج ٢ ص ٢١٣ ، طبع المكتبة السلفية ، لاهور (باكستان) . (٤٦) الفتاوى الرشيدية ، ص ٣٩ طبع المكتبة الرحيمية بديوبند . (٤٧) مناقب ابي حنيفة ، ج ١ ص ٥٥ . (٤٨) الكامل ، ج ٥ ص ٢٥١